٨)- جاك بيرك : إن عبقرية جاك بيرك الفذة ورصيده العلمي الهائل (1643 كتابا ودراسة إضافة !) عشرات المداخلات والمقابلات توزعت بين التاريخ والسوسيولوجيا والتاريخ الاجتماعي والاقتصاد والقانون واللغة) بوأته مكانة علمية مرموقة سمحت له بالولوج مبكرا !) أرقى المؤسسات العلمية بأوربا (كوليج دو فرانس ! حيث سيترأس كرسي سلفه روبير مونطان أب السوسيولوجيا الكولونيالية. الذي تأثر به بيرك فيما بعد في كتاباته، حتى أضحى يعتبر أحد رواد السوسيولوجيا الكولونيالية وفي ليس الناقدة والمحررة لها، وفي بين أهم مؤسسي السوسيولوجيا العربية وفي الداعين ! تأسيس أنتربولوجيا جديدة، دون أن ننسى كونه ضنطرا لاحقا لحرية تصفية الاستعمار فاقت خطورته فرانز فانون.

إن قراءة فكر جاك بيرك أو دراسته متحول دونه عراقيل عديدة في مقدمتها أسلوبه وصعوبة الخاص في التحليل والمقاربة وكذا ضعف الدراسات الداخلية لمضمون مواضيعه في الزمان والمكان والتي تلاحقها تقاطعات للمؤرخ والسوسيولوجي والأنتربولوجي التاريخانية دورا كبيرا.

فإضافة لكونه يجمع بين اختصاصات المؤرخ والسوسيولوجي والأنتربولوجي والسيميولوجي فإنه أحيانا يكتب بأسلوب شاعري، فهو يتنقل بقارئه بسرعة من الانتقال من حقل معرفي إلى آخر والتعامل مع مختلف مصادر المعرفة الإنسانية لغته ومنهجه خاصين به وحده.

ولد جاك أوغستين بيرك بمدينة فرندة 1910. من أب فرنسي وأم إسبانية فقد كان أبوه يشغل منصبا هاما في هرمية السلطة الفرنسية، وهو ما ساعد بيرك على تعيينه مراقبا مدنيا في منطقة البويرة ثم نائبا بلديا في مدينة فاس قبل أن يعينه المقيم العام جوان مراقبا مدنيا بمنطقة الشاوية عام 1947.

Scanné avec CamScanner

في عام 1955 حرر بيير "أطروحته قصد نيل الدكتوراه حول موضوع: "البنيات الاجتماعية للأطلس الكبير". إن هذه الأطروحة فولت له أن ينتخب أستاذا بكوليج دو فرانس حيث سيشغل كرسي "التاريخ الاجتماعي. الإسلام المعاصر" وذلك سنة 1956، إن هذا فتح له آفاقا أوسع فقام تعيينه مندوبا لليونيسكو في مصر عام 1960 هذه الفرصة أيضا التقى فيها المصريين وصدر له ألف بشأنها بعنوان أيام مولفات.

وقد توفي جاك بيير عام 1995 بفرنسا عن عمر يناهز 85 سنة تاركا إنتاجا غنيا ومتنوعا.

إسهاماته: بحكم إقامته لسنوات في الجزائر استطاع بيير أن يستشف التنوع في المجتمع الجزائري، فتمتع بقوة الملاحظة المدعمة بإطاره النظري الواسع مما سمح له بإنتاج بحوث أنثربولوجية.

المقارنة بين السوسيولوجيا والتحليل التاريخي في دراسة المنطقة العربية والجزائر بشكل خاص، فقد عمد إلى رصد الواقع والملاحظة لتحليل الجوانب المختلفة للنظام التقليدي في الجزائر وهو في احتكاك مع الحضارة الغربية.

لقد استغل بيير وظيفته بإداري في منطقة الحضنة - الهضاب العليا - للجمع من خلالها المادة الأساسية إلى سيكيتيا ضمن أول مقال له الذي نشر له حقائق للجلسة الإفريقية، وفي سنة 1934 وفي نفس عام حصل على شهادة محامي الأهالي الذي مكن بيير من تجديد وتسجيل نشر وأول مرة سنة 1936 مقال بعنوان: études des contrats maraboutiques africains

لقد أتيحت للمؤرخ الفرصة لدى بيير معرفة التقليدية والعيش بالأهالي ساعدت بدورها نظام الأعيان للأهالي وتوصيفهم بأنهم قد "التهموا القبيلة" وهو ما دفع بيير بإستنتاجات وفهرسة المعمرين واستغلالهم الفاحش للمالك الأهالي، لذا فإن بيير يقاوم ويناور من موقعه كأحد ورثاء لضباط مكاتب العرب الذين اعتبروا ممثلي الأهالي ضمن الدولة الفرنسية وهذا روح الخدمة العمومية وإعادة تنظيم مخزنهم القديم هو ما أدى ينبغي للدولة الفرنسية ذات السيادة أن توفره لهم.

Scanné avec CamScanner

كما ننوه إلى ذلك النحاتين الذي جمع النقيب N. Lacroix المسؤول عن مكتب شؤون الأهالي بالباهثين H. de la martinière و Aug Bernard، أثر سنة 1906 كتابا مرجعيا يحمل عنوان L'évolution du nomadisme en Algérie قعد به بيرك ذلك الفصل الأول من نوعه حول الجغرافيا الإنسانية في إفريقيا الشمالية كما اعتبر كتاب Aug Bernard حول التقسيم الجزائري المغربية، إضافة مفيدة في التعريف بالقبيلة، بحيث شخص الكاتب فيه بوضوح حدود التشابك والتعقد والعلاقة الحميمية التي تربط القبيلة بالإقتصاد الرعوي المواتي جدا لحياة الترحال والتنقل.

تمتع أبحاث جاك بيرك حول البنايات الإجتماعية في الأطلس الكبير 1955 حول التمثلات وتأويلات الإسلام (الزوايا، الرباطات، الأضرحة، الأولياء) اليوم لسلطة على المستوى الأكاديمي ويقيمه البعض رائد لسوسيولوجيا التحضري الإستعماري، حيث يفتتح بيرك مقاله حول: "القبيلة الشمال-إفريقية" ما ينطوي دوركايمي، براديغما جديدا، النظرية الإنقسامية التي تبنتها الإجتماعية الأنغلوساكسونية في الستينيات من القرن العشرين.

لقد نجحت الدراسات الكولونيالية في ترسيخ تقاليد سوسيولوجية خاصة، غير أن رواد هذه الأخيرة تحولوا إلى منظرين إستعماريين، وتحولت أطروحاتهم في كثير من الأحيان إلى مخططات عسكرية وإيديولوجيا للسيطرة والإخضاع، في مقابل ذلك نجد بيرك يقف على طرف نقيض حيث لم يقبل الإندماج بسهولة في الإيديولوجيا البربرية الكولونيالية، وهذا يتضح من خلال أطروحاته.

لا يختلف إثنان في أن أعمال بيرك الغزيرة قد لفتت فارقت في عمر الأديبات الإجتماعية من المغرب الكبير مادة رئيسية لها، حيث ساهمت كتاباته العميقة في إعادة ضبط البوصلة وتحرير النظر الفكر من كثير من الأحكام المسبقة ومن الكليشيهات الإيديولوجية المزيفة التي ضاعت معها صورة الجزائر وحقيقتها وتشوهت بسبب الشطحات التي جالت في خلد العديد من كتاب الإدارة الكولونيالية لكن الراغبين في الإستحواذ الأبدي على المنطقة وسكانها. لكن منافسة بيرك من المغرب الكبير وأهله وقفت في الإستعمار وقفة ودافعت عن الحق وتاريخه جعلت بيرك يتصدر قائمة المثقفين بالنسبة للكولونيالي الغربي للجزائر.

Scanné avec CamScanner